

روح المعاني

كفرهم باﷻ تعالى والأخبار علماء اليهود واختلف في واحده فقال الأصمعي : لا أدري أهو حبر أو حبر وقال أبو الهيثم : هو بالفتح لا غير وذكر ابن الأثير أنه بالفتح والكسر وعليه أكثر أهل اللغة والصحيح إطلاقه على العالم ذميا كان أو مسلما فقد كان يقال لابن عباس رضي اﷻ تعالى عنهما الحبر ويجمع كما في القاموس على حبور أيضا وكأنه مأخوذ من تحبير المعاني بحسن البيان عنها ورهبانهم وهم علماء النصارى من أصحاب الصوامع وهو جمع راهب وقد يقع على الواحد ويجمع على رهايين ورهائنة وفي مجمع البيان أن الراهب هو الخاشي الذي تظهر عليه الخشية وكثير إطلاقه على متنسكي النصارى وهو مأخوذ من الرهبة أي الخوف وكانوا لذلك يتخلون من أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها حتى أن منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب ومن هنا قال صلى اﷻ تعالى عليه وسلم : لا رهبانية في الإسلام والمراد في الآية اتخذ كل من الفريقين علماءهم لا الكل الكلب أربابا من دون اﷻ بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل اﷻ تعالى وتحليل ما حرمه سبحانه وهو التفسير المأثور عن رسول اﷻ صلى اﷻ تعالى عليه وسلم فقد روى الثعلبي وغيره عن عدي بن حاتم قال : أتيت رسول اﷻ صلى اﷻ تعالى عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون اﷻ فقلت له : يا رسول اﷻ لم يكونوا يعبدونهم فقال E : أليس يحرمون ما أحل اﷻ تعالى فيحرمونه ويحلون ما حرم اﷻ فيستحلون فقلت بلى قال : ذلك عبادتهم وسئل حذيفة رضي اﷻ تعالى عنه عن الآية فأجاب بمثل ما ذكر رسول اﷻ صلى اﷻ تعالى عليه وسلم ونظير ذلك قولهم : فلان يعبد فلانا إذا أفرط في طاعته فهو استعارة بتشبيه الإطاعة بالعبادة أو مجاز مرسل باطلاق العبادة وهي طاعة مخصوصة على مطلقها والأول أبلغ وقيل : اتخذهم أربابا بالسجود لهم ونحوه مما لا يصلح إلا للرب D وحينئذ فلا مجاز إلا أنه لا مقال لأحد بعد صحة الخبر عن رسول اﷻ صلى اﷻ تعالى عليه وسلم والآية ناعية على كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب اﷻ تعالى وسنة نبيه E لكلام علماءهم ورؤسائهم والحق أحق بالإتباع فمتى ظهر وجب على المسلم اتباعه وان أخطأه اجتهاد مقلده والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم بأن اتخذوه ربا معبودا أو بأن جعلوه ابنا اﷻ كما يقتضيه سياق الآية على ما قيل وفيه نظر وتخصيم الإتحاذ به عليه السلام يشير إلى أن اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع أن اتخذهم له كذلك أقوى من مجرد الإطاعة في أمر التحليل والتحريم لأنه مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام إلى أمه للإيدان بكمال ركافة رأيهم والقضاء عليهم

بنهاية الجهل والحمافة .

وما أمروا أي والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في الكتب الإلهية على ألسنة الأنبياء عليهم السلام إلا ليعبدوا إلها واحدا جليل الشأن وهو اﷻ سبحانه ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه فإن ذلك مناف لعبادته جل شأنه وأما إطاعة الرسول صلى اﷻ تعالى عليه وسلم وسائر من أمر اﷻ بطاعته فهي في الحقيقة إطاعة اﷻ D أو وما أمر الذين اتخذهم الكفرة أربابا من المسيح عليه السلام والأخبار والرهبان إلا ليطيعوا